الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ : ١١ مـارس ٢٠٠٥

أكثر من ارتاح لما يجري في لبنان من أحداث مؤسفة كانت «إسرائيل»، التي لم تخفِ فرحتها وأملها في أن يتغير الحكم اللبناني بالكامل بعد إسقاط الحكومة اللبنانية لكي ينفتح المجال من جديد أمامها لفرض اتفاق سلام على لبنان. وطبعاً لا تزال «إسرائيل» تتحسّر بشدّة على اتفاق 17 مايو/أيار 1983 والذي أسقطته المقاومة اللبنانية بمساعدة سوريا.

«إسرائيل» والمحنة المستمرة في لبنان

تريد «إسرائيل» إحياء ذلك الاتفاق، وتريد من اللبنانيين أن ينسوا كل الجراح والآلام التي سببتها هي لهم، تريد منهم أن ينسوا اجتياحها للبنان عام 1982 ووصولها إلى عاصمته بيروت، وكيف قامت بتدمير الوزارات والمؤسسات والمصارف اللبنانية بهدف إلغاء الدولة اللبنانية ومحوها من الوجود، وكيف قامت بتدمير المنازل على ساكنيها، وكيف كانت سبباً في مقتل عشرات الآلاف من اللبنانيين وفي تدمير الممتلكات وفي إلحاق خسائر هائلة بالبنية التحتية اللبنانية بلغت عشرات المليارات من الدولارات. ولم تكتفِ «إسرائيل» بذلك، بل اقتطعت أجزاء واسعة من جنوب لبنان بدعوى حاجتها إلى سياج أمني يحميها من المقاومة اللبنانية والفلسطينية، لكنها في الحقيقة كانت تريد بناء مستوطنات هناك. وخربت المزارع وهجّرت السكان اللبنانيين من ديارهم ومزارعهم، وأصبح جنوب لبنان قاعاً صفصفاً، ليس فيه إلا الثكنات والمتاريس والقواعد العسكرية التي بناها جيشها على رأس كل تلّة، وعلى رأس كل جبل.

لم يستكن لبنان لهذا التخريب ولم يستكن لهذا العدوان، فكانت المقاومة التي استطاعت دحر المحتل «الإسرائيلي» وإعادة معظم أرض الجنوب إلى الوطن اللبناني، ولا تزال هناك أجزاء من الأرض في مزارع شبعا محتلة. كيف ينسى اللبنانيون مذبحة قانا التي نفذتها «إسرائيل» بدم بارد، بل كيف ينسون معتقل الخيام، تريد «إسرائيل» فصل لبنان عن سوريا من أجل عقد اتفاق سلام منفرد معه يعفيها من المطالبة بتعويض عن إجرامها بحق لبنان وشعبه. ولعل ما يدعو إلى الأسى أن تكون لدعوتها هذه استجابة من قبل أطراف في لبنان تسمي نفسها «معارضة» في حين أن المعارضة في كل دول العالم المتحضر، لا تسعى إلى تدمير دولها ومجتمعاتها. بل ثمة مسارات قانونية تسلكها هذه المعارضة، وهناك خطوط حمراء لا تستطيع أن تتجاوزها، وأهمها المحافظة على وجود الدولة بجيشها وأجهزتها الأمنية. المعارضة اللبنانية تطالب برحيل الرئيس اللبناني وبرحيل كافة قادة الأجهزة الأمنية والجيش. لكن يا ترى، إذا رحل هؤلاء، فكيف سيكون حال لبنان؟

إن المعارضة بهذه المطالب السمجة تسعى إلى تخريب لبنان، إنها تنسى أن لبنان ليس كمثل أي بلد آخر في العالم، فهو وطن صغير لا تتعدى مساحته 10 آلاف كيلومتر مربع، بينما تسكنه ثماني عشرة طائفة وأقلية دينية. وهذه الطوائف والأقليات مشحونة بالحقد والكراهية ضد بعضها، وهي موزعة بين من يريد بناء دولة مسيحية خالصة في لبنان، وبين من يريد بناء دولة إسلامية خالصة فيه أيضاً، وبينما من يريد بناء كانتونات طائفية، بحيث يكون لكل طائفة استقلال ذاتي في إطار الوطن اللبناني. إن زعماء الطوائف هم الذين يقودون المعارضة في لبنان، وهؤلاء الزعماء يعتمدون على إرثهم العريق في الاستقواء بالخارج. لقد كان هذا الاستقواء سبباً أساسياً في اندلاع أحداث صيف عام 1845 في جبل لبنان، والتي استمرت حتى عام 1860، وتم على إثرها إنشاء متصرفية جبل لبنان بأمر من السلطان العثماني وتحت ضغط الدول الغربية الاستعمارية. وتلك الأحداث المشؤومة هي أساس كل ما يعاني لبنان منه الآن. وزاد الطين بلّة إقدام الجنرال الفرنسي غورو عام 1920 على

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

محمد خليفة *

بناء دولة لبنان الكبير والذي صمّم ليكون متناسباً مع إحدى الطوائف اللبنانية، وهذه الطائفة سادت في لبنان منذ ذلك الوقت، وكان تفرّدها في حكم لبنان سبباً أساسياً في اندلاع أحداث عام 1958، ومن ثم في وقوع الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975. هذه الحرب التي استمرت ستة عشر عاماً، وأدّت إلى مقتل مئتي ألف مواطن لبناني بالإضافة إلى عشرات الآلاف من المعوقين، ومئات الآلاف من المهجرين واللاجئين. وانتهت تلك الحرب وعاد لبنان إلى مربعه الطائفي الأول، وعاد من جديد الصراع الطائفي إليه. قد نتساءل ما ذنب الشعوب العربية ومنها شعب لبنان، كي تتحمّل كل هذه المآسي التي افتعلها الغزاة في لحظة من عمر تاريخ هذه المنطقة؟ لكننا لا نجد إجابة لذلك سوى أننا جزء من كل هذه المشاكل. إننا جميعاً نعاني من الفصام، إننا جميعاً مرضى بالحقد الطائفي والمذهبي والعرقي، ولبنان هو جزء من هذه الأمة، وما يدور فيه في العلن يعكس حقيقة ما يدور في الخفاء في أماكن أخرى من العالم العربي. لكن كل حقدنا وكرهنا لبعضنا البعض يجب أن نخبئه، لأن ثمة عدواً شديداً يتربّص بنا على الحدود ويتمنى لنا المهالك. فهل نقتل بعضنا بعضاً، ونترك عدونا يحتفل بهذا النصر. إن لبنان بصيغته الوطنية التي يجسدها الرئيس أميل لحود هو صمّام الأمان للوطن اللبناني ولشعب لبنان، وحذارِ من التفريط بلبنان الوطن الجامع لكل أبنائه كما هو عليه الآن.

---

* كاتب من الإمارات
medkhalifa@maktoob.com

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية